

دور الوسائل التعليمية في تحفيز القراءة باللغة الفرنسية لغة أجنبية -FLE- نموذج الحقيبة البيداغوجية

- الطالبة. أميرة هامل
- مسجلة في الدكتوراه
- جامعة باجي مختار - عنابة
- أ.د. عقيلة خباب
- جامعة باجي مختار - عنابة-

المُلخَص:

يهدف هذا المقال إلى اقتراح وسيلة تعليمية تعرف بـ"الحقيبة البيداغوجية" وإبراز مناخ التعلم النشط الذي تتيحه وما تسهم به في تحقيق تعلم أفضل داخل بيئة ملائمة لعملية تعليم وتعلم مهارة القراءة باللغة الفرنسية لغة أجنبية. من هذا المنطلق نحاول تسليط الضوء على أهمية استثمارها في المنهاج الدراسي للغات الأجنبية الخاص بالطور الأساسي، ونسعى كذلك إلى الكشف عن برنامج تعليمي مستحدث يهدف إلى تيسير مهارة القراءة لدى التلاميذ الذين لا يتحكموا في آدائها، مستوحى من ممارسة نشاطات تعليمية - تعلمية في إطار خبرة تربوية تم تطبيقها داخل صف اللغة الفرنسية لغة أجنبية، لأننا ندرك حاليا أن دور المدرسة لا يقتصر على تعليم آليات القراءة بقدر ما هي مسؤولة عن تنمية الذوق القرائي لدى المتعلم الجزائري وغرس فيه حب الإقبال عليها.

الكلمات المفتاحية: اللغة الأجنبية، اللغة الفرنسية لغة أجنبية، تعلم القراءة، الحقيبة البيداغوجية.

Résume :

Parmi les apprentissages de base qui vont permettre à l'enfant de poursuivre sa scolarité et de participer à la vie sociale، la lecture.

En effet dès que l'enfant atteint un minimum de maîtrise de la lecture، sa curiosité naturelle va le pousser à l'exploitation des textes plus longs et plus compliqués.

Par le présent article، nous cherchons à mettre en évidence les difficultés d'apprentissage liés à cette compétence chez des élèves du cycle primaire dans le contexte de la classe de FLE (Français Langue Etrangère)، tout en proposant un dispositif pédagogique connu sous l'appellation de « la mallette pédagogique ». Cette démarche s'inspire d'une expérience de pratique enseignante menée au sein d'une classe de français ; elle vise en parallèle à faciliter l'expression des compétences en lecture chez les élèves en difficulté .

Mots clés: la langue étrangère، le français langue étrangère، l'apprentissage de la lecture، la mallette pédagogique.

Abstract :

Among the basic skills that will allow the child to continue his education and to participate in social life، reading.

Indeed when the child reaches a minimum mastery of reading، his natural curiosity will drive him to the exploitation of the longest and most complicated texts.

This contribution seeks to highlight the reading difficulties among primary school pupils in the context of the FLE (French as a Foreign Language) class، while providing an educational system which aims to facilitate the expression of the reading skills among poor pupils، such as "teaching package".

This approach is based on a teaching experience conducted in a French language classroom.

Keywords: foreign language، French as a foreign language، learning reading، teaching package.

مقدمة:

من أبرز المؤسسات المشرفة على ممارسة التعليم المنظم "المدرسة" فضلا عن كونها نسقا بنائيا وضع بهدف تكوين أجيال وفقا للمتطلبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقيمية للمجتمع حسب مستدعيات الحياة العصرية، تعمل أيضا على ضمان أن كل التلاميذ بمن فيهم الذين يواجهون مسائل تتعلق بصعوبات التعلم، لديهم نفس الحظوظ في الظفر بإمكانيات التعلم ومساعدتهم على النجاح تربويا إلى أقصى ما تسمح به قدراتهم؛ لأن استثمار الموارد التعليمية من كتب المدرسية ووسائل ديداكتيكية في الحياة المدرسية من شأنه أن يؤثر مباشرة على المكتسبات الأكاديمية للطفل من جهة، ويبنى شخصيته ويكسبها القيم التي تتناسب والمجتمع الذي سوف ينخرط فيه كعضو نشط وفعال من جهة أخرى، لتقديم مواطن كفاء قادر على حل مشكلاته وعلى التفاعل الإيجابي مع الآخرين، ويؤكد Louis Porcher " أنه من أجل وضع تعلم متمحور حول المتعلم، يجب اقتراح مواضيع تهمة، تناسب أذواقه،

وضعيته، خبرته، بيئته وانتظاراته⁽⁰¹⁾، وهو أهم مبدأ تركز عليه الإصلاحات الجديدة : بيداغوجيا المشروع .

ضمن سياق هذه المقاربة، يتطلب إعداد فرد بهذا المعنى من المشرفين على البرامج التعليمية، التفكير في صيغة تضمن كافة الأبعاد المعرفية وال نفسية والاجتماعية الكفيلة بمتعلم منفتح على محيطه، يعيش منسجما فيه على طول امتداد المراحل التعليمية.

وقد بدأ التفعيل الميداني لإصلاحات المنظومة التربوية الجزائرية في مطلع السنة الدراسية 2004/2003 بالنسبة للسنة الأولى من الطورين الابتدائي والمتوسط (وفقا للمرسوم الرئاسي رقم 101.2000 مؤرخ بـ 09 ماي 2000 والمتضمن إحداث اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية)⁽⁰²⁾، إلى أن تم تعميمها في بدايات الموسم الدراسي 2007/2006 بالنسبة للتعليم المتوسط و2008/2007 في ما يخص التعليم الابتدائي، أما التعليم الثانوي فقد انطلقت هيكلية وإعداد البرامج الخاصة به بحلول السنة الدراسية 2006/2005. حسب القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 08-04 المؤرخ في 23 جانفي 2008 الصادر في النشرة الرسمية للتربية الوطنية⁽⁰³⁾. على ضوء فلسفة المقاربة بالكفاءات، أحدثت تغييرات في محتوى المقررات وتجديدات في طرائق تدريسها، حيث تم تجديد المحتوى العلمي للكتاب المدرسي في جميع المواد وفقا للأهداف الجديدة المحددة لكل مادة، كما تم تعديل منهجيات التدريس وفق ما تتطلبه فلسفتها الجديدة وإجراءاتها العملية، فتغيرت المفاهيم وعدلت الوضعيات التعليمية وأدخلت أساليب تقويم جديدة .

إلا أن مجمل الإجراءات الرامية إلى إعادة بعث منظومة تربوية قادرة على إنتاج راشد متوافق مع ذاته ومجتمعه، لم تصاحبها تدابير عملية في واقع

السياق المدرسي الجزائري، إذ نلاحظ تفاعل ليس بالاجيبي من طرف معلمي العملية التعليمية - التعليمية : المعلم والمتعلم .

فأما المعلم على أساس أنه المشرف والمسير المباشر للعملية التعليمية داخل حجرة الصف، يجد نفسه أمام كثافة البرنامج الدراسي الذي تشمل كم هائل في الدروس إذا ما قورنت بضيق الحجم الساعي المخصص لها وعدم تناسبه مع محتوى المقررات، أيضا اكتظاظ الأقسام بالأعداد الهائلة من التلاميذ التي تزدهم في الفصول الدراسية يحول دون أداء الفعل التربوي حسب ما تمليه الفلسفة التربوية الجديدة.

بينما التلميذ، أثناء اطلاعه على الكتاب المدرسي لتحضير الدروس - خاصة في المنزل- وتثبيت المعارف التي اكتسبها في الصف الدراسي، يجد صعوبة في استعماله وغالبا ما يطلع عليه إلا بمساعدة شخص راشد، مع العلم أن الكتاب المدرسي يعتبر " المرجع التعليمي المطبوع الذي يجسد البرنامج الرسمي لوزارة التربية الوطنية، بهدف نقل المعارف للمتعلمين وإكسابهم المهارات الأساسية في التعلم"⁽⁰⁴⁾، فمن الواضح أنه لا تتوفر فيه مواصفات المرجع الأكاديمي المساعدة على تثبيت المعارف محتوى التعليمات و"لأنه لا توجد فيه الأمثلة وما يشجع المتعلم ويحفزه على استعماله ومراجعته خارج الحصة الدراسية المقررة"⁽⁰⁵⁾، كما أن لغة النصوص التي يتضمنها، كثيرا ما تكون معقدة لا تتناسب والمستوى اللغوي للمتعلم. فضلا عن الانقطاع في الوتيرة الدراسية التي تشوب الفصول الدراسية نتيجة الحركات الاحتجاجية وإضرابات المعلمين المتكررة .

فهل عجزت المدرسة الجزائرية في تأدية دورها حسب ماتمليه مبادئ بيداغوجيا المقاربة بالكفاءات وبما يناسب ميولات واهتمامات المتعلم الجزائري؟

اللغة واللغة الأجنبية:

تمثل اللغة وجها من أوجه السلوك الاجتماعي وأداة حاملة للمعرفة وناقلة لها، يعيش من خلالها الفرد كل مواقف التواصل المختلفة، وتعد أيضا وسيلة لتداول التكنولوجيا والعلوم والبحث العلمي، لديها دور محوري في إنتاج الأفكار والمشاريع العلمية وتتيح فرصا لا متناهية للتعرف والتبادل بين الثقافات والشعوب.

فهي نظام لغوي يعتمد عليه الإنسان للتعبير عن حاجياته ونقل أفكاره ومعتقداته، بتكامل أربع مهارات محورية: الاستماع، كلام، قراءة وكتابة. تنمو هذه المهارات بصورة تدريجية، حيث يبدأ الطفل باكتساب المهارات الشفوية من استماع ثم كلام ليكتسب بعد ذلك المهارات الكتابية كل من القراءة والكتابة.

في الواقع لا يوجد انفصال بين المهارات الأربع وإنما يكتسبها الطفل بصفة متكاملة، فما يكتسبه باللغة الشفوية من بنى لغوية وقواعد ومفردات جديدة وأساليب لغوية : استفهام، تعجب، تقرير ... الخ يصبح في اللاحق قاعدة لتعلم القراءة والكتابة، وما يتعلمه من أنظمة عن الكتابة ينمي ويسهل لديه القدرة على القراءة والكلام.

إن طبيعة المجتمع البشري المعقدة وتشابك العلاقات الاجتماعية فيه جعلت من موضوع تعلم اللغات الأجنبية وتعليمها، حاجة ماسة في معظم الدول العالم حيث تؤكد أنظمتها التربوية على ضرورة إدراجها في السنوات الأولى من المشوار الدراسي وعيا بأهميتها وفوائدها، لأنها تسمح بالانفتاح على ثقافات الشعوب وتعزز التواصل الحضاري مع دول العالم وتسهم بشكل بارز التنمية الاقتصادية والعلمية والثقافية للأمم. ويشير في هذا السياق Freudenstein إلى المكاسب الثقافية المتعددة لتعلم اللغات الأجنبية، أهمها أن

يتعرف المتعلم على "ثقافات تختلف عن ثقافته يؤدي إلى تفتح مداركه الثقافية والشخصية بحيث يصبح إنسانا أكثر مرونة من أولئك الذين لا يتحدثون سوى لغة واحدة"⁽⁰⁶⁾. من نفس المنطلق يؤكد ذات المفكر سنة 1991 أن من بين مزايا تعلم اللغات الأجنبية في سن مبكرة النمو الفكري، فالأطفال المتمكنين من لغة أجنبية يميلون إلى التفوق على أقرانهم سواء في المهارات الشفهية أو الكتابية.⁽⁰⁷⁾

ومهما تعددت طرائق تعليم اللغات الأجنبية وتضاربت فيما بينها من حيث المزايا والعيوب، إلا أن المهتمين بعلوم اللسانيات خاصة التطبيقية منها يؤكدون على جدوى تلقينها خلال الأطوار الأولى من التعليم شرط أن يتم ذلك في بيئة تعليمية تعمها تفاعلات اجتماعية وتحمل معاني إيجابية للطفل تتيح له فرص تربوية تتحول فيها اللغة الأجنبية من مادة تعليمية إلى لغة تعليم وتعلم.

اللغة الفرنسية لغة أجنبية في السياق التربوي الجزائري :

لم يخير المتعلم الجزائري في تعلم اللغة الفرنسية وإنما فرضت عليه في الساحة التربوية لأسباب تاريخية وسياسية تعود إلى حقبة احتلال فرنسا للجزائر، حيث تجذرت مع الاستعمار الفرنسي، وما زالت تحتل مكانة هامة بين اللغات المستعملة .

وبالرغم من أن اللغة الرسمية في التعليم : اللغة العربية، إلا أن اللغة الفرنسية لا تزال تحتفظ بمرتبها وتقوم بوظيفتها باعتبارها لغة التداول المفضلة في الحياة الاقتصادية والمالية، كما لديها أهمية بالغة في حياة الفرد الجزائري حيث تزوده " بلغة أخرى إلى جانب اللغة الأصلية، لتصبح وسيلة للتخاطب في الميادين التي يتعذر فيها استخدام لغته الأصلية".⁽⁰⁸⁾

في مجال تعلم اللغات الأجنبية، اتخذت المنظومة التربوية الوطنية الإجراءات اللازمة وبذلت ما يلزم من الجهود لتجاوز مشكلة اللغة الأجنبية عموماً. حيث أدرك المشرفون على القطاع التربوي أهمية التعلم المبكر للغات الأجنبية خلال المسار الدراسي وضرورة التحكم في واحدة منها على الأقل، ومن أبرز الإصلاحات التي تبنتها الدولة الجزائرية في مجال تعليمها انعقاد مجلس الوزراء في 30 أفريل 2002 لدراسة ترقية اللغات الأجنبية في الجزائر الذي من أقر بتحديد سنوات إدخال اللغتين الأجنبيةتين : الفرنسية والانجليزية .

إذ يكمن الوعي بأهمية تلقين اللغات الأجنبية في المؤسسات التربوية الجزائرية في " تمكين التلاميذ من التحكم في لغتين أجنبيتين على الأقل للفتح على العالم، باعتبار اللغات الأجنبية وسيلة لإطلاع على التوثيق والمبادلات مع الثقافات والحضارات الأجنبية". (09)

تعد اللغة الفرنسية في الجزائر اللغة الأجنبية الأولى، على اعتبارها لغة التواصل في مختلف مجالات الحياة واستجابة ضرورية لحاجة الاتصال بين الناس، وقد عرفت إلزامية تدريسها في التعليم الابتدائي مرحلتين . في البداية أدرجت اللغة الفرنسية لغة أجنبية ابتداء من السنة الثانية ابتدائي خلال الدخول المدرسي 2004/2005 بناء على قرار مجلس الوزراء المنعقد في 3 أفريل 2002 لدراسة ترقية اللغات الأجنبية، حيث فرض هذا الوضع إعادة النظر في محتويات برامج التدريس ومضامينها وكذا تخصيص الحجم الساعي مناسب.

أما ما ميز المرحلة الثانية خلال الموسم الدراسي 2005-2006 بناء منهاجين جديدين للغة الفرنسية لمستوى السنة الثالثة والرابعة ابتدائي يتوافقان مع ملامح تخرج التلميذ الجزائري من التعليم الإلزامي ليتم تطبيقها في بداية

2008-2009، ويصبح بالتالي تدريسها إلزاميا ابتداء من الصف الثالث إلى غاية القسم النهائي.

وانتهى الأمر بإدماج كل من اللغة الفرنسية لغة أجنبية أولى في الجزائر خلال السنة الثالثة من التعليم الأساسي، والانجليزية لغة أجنبية ثانية في السنة الثانية متوسط ليوصل تعليمهما في المرحلة الثانوية حيث تدرج بعض الشعب لغة أجنبية ثالثة اختيارية بين الإسبانية والألمانية. وكان الهدف من هذا الإجراء هو تمكين التلميذ من مستوى عال من التحكم في المهارات اللغوية واستعمالها كأداة للتواصل في وضعيات تعلم مختلفة من جهة وتوظيفها كأداة لاكتساب المعلومات والمعارف المرتبطة ببعض التخصصات في التعليم الجامعي من جهة أخرى.

كذلك يعكس التوقيت المخصص لتدريس اللغة الفرنسية في الأقسام الابتدائية الاهتمام الموجه لهذه اللغة، حيث يبدأ التلميذ الجزائري رسميا تعلم اللغة الفرنسية من السنة الثالثة ابتدائي، بمعدل ثلاث ساعات أسبوعيا، أما في سنتي الرابعة والخامسة تخصص خمس ساعات وربع أسبوعيا بما فيها ساعات الدعم، على أساس أنها تدرس لا لكونها اللغة الأم أو لغة رسمية، وإنما وفقا لمنهاج : الفرنسية لغة أجنبية Le Français Langue Etrangère المؤسس على مبادئ المقاربة التواصلية في تعليم اللغات الأجنبية.

ويحرص في تلقين الدروس على التدرج في القواعد الأولية للغة الفرنسية من كتابة حروف، والتعرف على نظامها الصوتي، ثم الشروع بعد ذلك في تعليم المهارات اللغوية الأربع: استماع، التعبير الشفوي، قراءة وكتابة.

وقد عنيانا في هذا المقال بالتركيز على مهارة القراءة في اللغة الفرنسية، لأنها بؤرة العملية التعليمية وأساس التعلّات القاعدية، بها توسع المدارك اللغوية

وينهل من خلالها مختلف المواد الدراسية والمجالات الثقافية كما تنمي الإحساس الذوقي للتلميذ القارئ .

وبالرغم من شروع التلميذ الجزائري في تعلم اللغة الفرنسية منذ السنة الثالثة ابتدائي إلى غاية القسم النهائي، إلا أن الواقع يظهر حقيقة تأزم اللسان باللغة الفرنسية، حيث تبين نتائج المتحصل عليها في امتحان التعليم الأساسي تفوق التلاميذ في مادتي اللغة العربية والرياضيات على حساب اللغة الفرنسية، كمثل على ذلك معدلات النجاح المتعلقة بكل من مادة الرياضيات، اللغة العربية، اللغة الفرنسية لامتحان نهاية مرحلة التعليم الابتدائي للسنة الدراسية 2009-2010 على المستوى الوطني، تبين أن النسب موزعة على التوالي: 7،21 من عشرة، 7،2 من عشرة، 4،23 من عشرة.⁽¹⁰⁾

أيضا على سبيل المثال لا الحصر، قدرت نسب نجاح تلاميذ التعليم الأساسي خلال السنة الدراسية 2010/2009 المتعلقة باللغتين العربية والفرنسية في إحدى المدارس الابتدائية بمقاطعة عنابة على التوالي نسبة 90.73% و 70.36%.⁽¹¹⁾

عند محاولة التقرب من معلمي الطور المتوسط للاستفسار حول علاقة هذه النسب المرتفعة بحقيقة مدى تمكن التلاميذ الملتحقين بالمتوسطات من مهارة القراءة باللغتين؟ تبين لنا أن هؤلاء يعانون من ضعف على مستوى التحكم في هذه المهارة على وجه الخصوص في اللغة الفرنسية، وقد أعزوا ذلك إلى عدة عوامل من بينها: إجراءات نظام الإصلاح الجديد الذي يتميز بكثافة البرامج الدراسية مقارنة بالحجم الساعي المخصص لها، نقص في تكوين السلك التعليمي، اكتظاظ القاعات بالإضافة إلى احتواء المقررات على العديد من المحاور والوحدات، كما يغلب على النشاطات التعليمية الطابع الكتابي، في حين أن النشاطات التعليمية الشفهية تكاد تنعدم داخل حجرات صف اللغة

الفرنسية . علما أننا ندرك جيدا أن تعلم أي لغة يعني التحكم في مهاراتها اللغوية من: استماع، محادثة، قراءة وكتابة، وأن التحكم في اللغة شفهيًا يضمن التمدرس الجيد. (12)

والوضع ليس بمغاير في المرحلة الجامعية، إذ تتضح بصورة جلية صعوبة التحكم في مهارات اللغة الفرنسية أثناء اختيار شعب التكوين الجامعي، خاصة وأن كل التخصصات العلمية على مستوى الجامعة تمنح باللغة الفرنسية، بالتالي يواجه الطالب الجامعي الذي لا يجيد سوى اللغة العربية صعوبة أكثر في اختيار شعبة تكوينه الجامعي، دون أن ننسى أن التخصصات التي أن تفتح أمامه آفاقا كبيرة وأبوابا واسعة في حياته العملية تدرس باللغة الفرنسية.

القراءة مهارة ونشاط:

تؤكد العديد من الدراسات والأبحاث العلمية باختلاف مشاربها ومقارباتها الفكرية، انه لا يزال موضوع صعوبات التعلم يشغل بالبحث الأوساط التربوية، فتزايد الاهتمام به بشكل ملحوظ بعد تنامي الوعي اتجاه أهمية اكتشافه ومعالجته في المراحل العمرية المبكرة، لما له من تأثير على التلميذ في النواحي الاجتماعية والتعليمية إضافة إلى الآثار النفسية التي تتركها لدى الطفل .

ومن بين العوامل المؤدية في تعثر المسار التعليمي للتلميذ تلك التي تخص بشدة الجانب المعرفي، إذ يكمن النجاح الفعلي في الدراسة في اكتساب والتحكم في المهارات الأكاديمية من قراءة، كتابة وحساب. حيث غالبا ما تشير صعوبات التعلم إلى صعوبات على مستوى هذه التعلّمات.

فحسب دراسة كندية أجريت من طرف المركز الاستشفائي لأطفال شرق اونتاريو سنة 2006 تبين أن حوالي 3.2 من الأطفال يعانون من اضطرابات تعلم مما يمثل طفل من كل قسم⁽¹³⁾، وبناء على دراسة قامت بها الجمعية الأوروبية للتربية الخاصة من 16 إلى 24 من تلاميذ المدارس الأوروبية معنيين بالفشل الدراسي، حيث 7 إلى 10 منهم لا يتحكمون في مهارات التعلّمات الأساسية من قراءة كتابة وحساب⁽¹⁴⁾.

تعتبر القراءة وسيلة اتصال لا يمكن الاستغناء عنها، فهي أداة الفرد في تحصيله للمعرفة واتصاله بالإنتاج الفكري والحضاري، كما أنها سبيل لقضاء أوقات فراغه والاستمتاع به. لذلك يسعى المربون من أولياء ومعلمين إلى تعويد الطفل على القراءة وتدريبه عليها، بوصفها أسلوب حياة وطريقة تفكير تهدف إلى توثيق الصلة بينه وبين الكتاب ليستفيد منه ويستمتع به. كما تمثل المهارة الأولى التي تحرص المدرسة على تعليمها للطفل لئلا يتخلفه بمقاعد الدراسة، تزداد أهميتها في المراحل الدراسية المبكرة لا لكونها مادة دراسية منعزلة وإنما لضمان النجاح في المواد الدراسية الأخرى.

يعتبر ميدان تدريس القراءة من أهم ميادين التعليم إن لم يكن أهمها على الإطلاق، إذ تعد أبرز الدعائم التي يقوم عليها بناء عملية التعلم والتعليم، ولو تطرقنا إلى مفهوم القراءة من الناحية اللغوية، فهي مستنبطة من الفعل قرأ أي "التعرف على الحروف ومعرفة تجميعها في كلمات، وقرأ الشيء قراءة أي جمعه وضمه"⁽¹⁵⁾، أما اصطلاحاً، فاتفق معظم أخصائي علم النفس المعرفي على أنها " عملية تحويلية يناقش فيها القارئ المعنى وآليات المقروء لفهمه وتفسيره، أثناء القراءة، إذ لا يتجه المعنى من الصفحة إلى القارئ، بدلا من ذلك تتضمن القراءة مناقشة القارئ للنص"⁽¹⁶⁾، مما يشير إلى أن الشخص

حين يقرأ، يثير عمليات عقلية معقدة كالربط بين الرموز والإدراك والموازنة والفهم والاختيار والتقويم والتذكر والتنظيم والاستنباط والإبداع .
بالتالي أثناء أداء القراءة بشكل عام يصبو التلميذ إلى فك النغمات المناسبة حسب الحروف المكونة للكلمة، وضمّها وفق تسلسل متعارف عليه من أجل الوصول إلى النطق السليم واللفظ المناسب للكلمة مع الاعتماد على عمليات التذكر .

ويبدأ الإعداد للقراءة قبل دخول الطفل إلى المدرسة، إذ تشترك في أداءها حواس ومهارات مختلفة، وما يساعد على تطوير مهارة القراءة عند التلميذ الخبرات التي اكتسبها قبل البدء الفعلي في عملية القراءة. لذلك يتوجب على الأسرة توفير لأطفالها بيئة غنية بالمشيرات على مختلف أنواعها، كالكتب والألعاب وغيرها مما يثير حب الإطلاع ونزعة الاكتشاف لديهم، تهئّ لهم فرص اكتساب خبرات جديدة تعدهم للبدء بتعلم القراءة .⁽¹⁷⁾

أيضا يطور التلميذ مهارة القراءة في فترة مبكرة ويستمر في إنماءها تدريجيا، فيرى الكلمة المطبوعة، وينطقها ويسمع نطقه لها، ثم يدرك معنى الكلمة المنفردة، الكلمة في سياق، وبصورة تدريجية يبدأ في فهم الكلمات الجديدة بالنسبة له وبناء المعنى وممارسة أنشطة تعليمية متنوعة تسمح بإثراء القاموس اللغوي للتلميذ وتنمية استراتيجيات معرفية لديه، مما يمكنه " من ربط خبراته السابقة بالخبرات الجديدة التي يقرأها والتي يتفاعل معها وينتقدّها ويحكم عليها ويطبّقها في حل مشكلاته وتعديل سلوكه "⁽¹⁸⁾

وترى الأخصائية النفسانية Uta Frith⁽¹⁹⁾ أن الطفل خلال تعلمه للقراءة يمر بثلاث مراحل متتالية :

-المرحلة الخطية : Le stade logographique

وفيها يتمكن الطفل من عملية فك تشفير الرموز ويعتمد في ذلك على مؤشرات بصرية وإدراكية ودلائل موجودة في محيطه كالألوان والأشكال من دون استعمال وسائط فونولوجية، وتمثل هذه المعالجة للمعلومات مرحلة هامة في حياة الطفل ما قبل المدرسية لأنها تستثير الذاكرة البصرية للكلمة المكتوبة أكثر من الوعي الفونولوجي لها.

-المرحلة الأبجدية : Le stade alphabétique

في هذه المرحلة يظهر دور الوعي الفونولوجي عند التحاق الطفل بالمدرسة حيث تنمو لديه القدرة على التحليل والتركيب الصوتي، فيقوم بتجزئة الكلمة إلى الوحدات الصوتية المكونة وفي المقابل يقوم بتجميع هذه الأجزاء وفق ترتيب صحيح لنطق الكلمة المطبوعة أو المكتوبة فيدرك الطفل جيدا أن لكل صورة منسوخة صيغة صوتية .

-المرحلة الإملائية : Le stade orthographique

تتميز هذه المرحلة بتوظيف الطفل لكل المفردات التي يعرفها لفك ترميز الكلمات المكتوبة، حيث يتعرف على الكلمات من خلال تقطيع الكلمات إلى وحدات إملائية فيجمع بين الشكل والصوت المطابق له ليصل إلى المعنى. ويجد التلميذ صعوبة في بدايات تعلمه للقراءة، يتم ببطء بسبب ما تتطلبه من عمليات التفكير، ثم شيئاً فشيئاً تصبح أوتوماتيكية، لا تتطلب جهداً تفكيرياً ولا تجنيد مكثف للعمليات العقلية. إذ يعمل الأطفال على تخزين المفاهيم والمعارف المكتسبة تدريجياً نتيجة لنمو قدراتهم العقلية من ناحية واكتساب لغوي بطريقة بنائية من ناحية أخرى حسب ما تتيحه بيئاتهم من فرص تعليم وتعلم. فمن المهم أن يترعرع الطفل ويكبر في بيئة غنية بالمثيرات الحسية

تحثه على طرح الأسئلة وطلب الاستفسارات والقيام بنشاطات تساعده في اكتشاف محيطه، والتفاعل مع مكوناته مما يساهم بفعالية في إعداده للتعلم وتقوية ميله نحوه.

وأفضل الممارسات الصفية للربط بين المعلومات المقروءة والحوافز المساعدة على فهمها وبلورتها، تلك التي تحتوى على مواقف التخاطب والتحاور بين المعلم وتلاميذ وكذلك تلك التي يتناقش فيها التلاميذ.

أهمية الوسائل التعليمية في الموقف التعليمي :

المسؤول الرئيسي عن عملية تصميم الموقف التعليمي: المعلم، فهو ليس مطالب بتلقين التلميذ مجموعة من المعلومات بقدر ما هو ملزم بأن يكون المرافق في التعلم داخل الفصل، يوفر المناخ الملائم لسير الأنشطة ويحرك نشاط التلاميذ عن طريق أساليب تدريس متنوعة يراعي فيها فروقاتهم الفردية .

حيث تبرز فعالية التدريس في تهيئة الجو الملائم والمحفز للتلميذ حتى يتسنى له اكتساب خبرات جديدة انطلاقاً من مداركته داخل موقف تعليمي حقيقي، وفقاً لما جاءت به النظريات والاتجاهات التربوية الحديثة المستوحاة من أعمال: فريني، ديكرولي، روجرز، مونتيسوري التي تركز على دور المتعلم، على أساس أنه محور العملية التعليمية بينما يكون المعلم الوصي والمرشد المنظم للعملية ذاتها .

ومما لا شك فيه أن لكل هدف تعليمي أسلوب تدريس يناسبه الذي يمثل الجزء الحيوي والأداة المنفذة لمحتوى المقرر الدراسي. مما يعني أن الأداء التعليمي في السياق المدرسي " يعتمد في الدرجة الأولى على المعلم المؤهل تربوياً وعلمياً والحامل للمواصفات التربوية والنفسية والاجتماعية والخبرة الفعلية التي تقرر صلاحيته ان يكون مربياً "(20).

انطلاقاً من جملة المبادئ التي تستند إليها المقاربة بالكفاءات والتي من أهمها التعلم الذاتي، إدماج المعارف، انجاز المشاريع، التعلم التعاوني، التعلم النشط.... الخ. وقد بدأت المدرسة الجزائرية في السنوات الأخيرة تُعنى بثقافة التفكير لدى التلميذ، حيث وضع المهتمون بالحقل التعليمي في مقدمة اهتماماتهم تعليم مهارات التفكير للطفل، إذ لا تركز وضعيات التعلم في المقاربة بالكفاءات على المضامين فقط، بقدر ما تقف على إثارة اهتمام العفوي للتعلم ودفعه إلى الممارسة الفعلية في الوضعيات المركبة، كما أنها "لا تقتصر في مسار التعلم على تكديس المعارف من مختلف المواد، بل تجعل منها أدوات للتفكير والتصرف في المدرسة وخارجها". (21)

ويعد موضوع الوسائل التعليمية من بين المواضيع العامة في ميدان التربية لأنها تقدم إسهامات كبيرة في إثراء المواقف التدريسية ولديها دور فعال في ترسيخ المعارف في ذهن المتعلم، وتعرف "بمجموعة من المواد تعد إعدادا حسنا لتستثمر في توضيح المادة التعليمية وتثبيت أثرها في أذهان المتعلمين" (22)، بينما يعتبرها Jonason "مصادر لنقل المعلومات بغية تسهيل عملية التعلم" (23). وفي هذا السياق أثبتت العديد من الدراسات أن للوسائل التعليمية أثر إيجابي في العملية التعليمية كدراسة كل من الان Allen (2005) ودراسة محمد (2005) ودراسة الفراء (1995) التي أظهرت استحسان المعلمين لتوظيف هذه الطرق التدريسية نظرا للنتائج الايجابية الملحوظة في درجات تحصيل التلاميذ. (24)

تكمن أهميتها كذلك فيما تشمله من مثيرات ورموز تربط المادة التعليمية بالواقع عن طريق الخبرة والممارسة وتبتعد كل البعد عن طرق التدريس التقليدية : التلقين والإلقاء، كما تعمل على تشويق التلاميذ للإقبال على المادة الدراسية بكل متعة وسرور مع مراعاة الفروقات الفردية فيما بينهم من

خلال تقديم منهج تكاملي تبنى فيه التعلّات في شكل هرمي ويحتوى على فرص اكتساب تعلّات عرضية Les apprentissages latéraux. وتصنف الوسائل التعليمية حسب الحواس التي تستثيرها إلى : الوسائل البصرية، الوسائل السمعية والوسائل السمعية البصرية أو ما يعرف بالحقائب البيداغوجية .

وإذا التمسنا تطورا ملحوظا في القطاع التربوي الجزائري، فإنما ذلك لا يزال يتسم بالطابع الكمي دون العناية بتحسين نوعية التعليم، حيث يغلب الجانب النظري على مقررات التدريس، في حين لا يولى الاهتمام الأوفر للأعمال التوجيهية والتطبيقية. لأن ملاحظة الممارسة الفعلية لعملية التعليم، تبين أن بعض المدرسين يفضلون الطريقة الإلقائية، التي يتعرض فيها التلميذ لساعات طويلة من التلقين المتواصل، الأمر الذي يعيق استيعاب التلميذ ويعرقل سير عملية التعلم نحو التفاعل الإيجابي ' حيث يتحول القسم في كثير من الأحيان إلى فضاء يغيب فيه عامل التشويق ويصبح مصدرا للقلق والتوتر.

حيث يدعو الاتجاه الحديث في الميدان التربوي إلى بناء أنظمة تربوية تراعي الفروقات الفردية للتلاميذ حيث تقوم على أساس المعرفة الذاتية لكل متعلم في جميع مجالات نموه العقلي والانفعالي والحركي وتحدد أهدافا نابغة من احتياجاته الخاصة وتحقق متطلباته الذاتية، من خلال "تهيئة مواقف وخبرات ونشاطات تساعد المتعلم على استغلال طاقته والإبداعية وقدراته، لكي تتيح فرصا لإظهار مشاعره وانفعالاته تساعده على تطور شخصيته وفهم دوره في المجتمع" (25).

الحقبة البيداغوجية وتفعيل نشاط القراءة داخل قسم الابتدائي :

من الاستخدامات الحديثة في التعليم التي أسهمت بنجاح في العملية التعليمية-التعلمية وعززت التعلم الذاتي استغلال الحقبة البيداغوجية داخل البيئة الصفية، إذ تعد من أفضل آليات التدريس والتقويم الجديدة التي تلائم التغيرات والتوجهات الحديثة التي تشهدها ميادين التربية لما لها من دور في تنمية قدرات المتعلمين وقياس إمكانياتهم بمستوى عال من منح الفرص والدقة والشمول فهي " نظام تعليمي قائم على أساس التعلم الذاتي، يساعد التلاميذ على التعلم وفق قدراتهم وحاجاتهم وميولاتهم على ضوء مجموعة من من التوجيهات التي ينبغي أن يسير التلاميذ وفقها بتسلسل" (26)، إذ تتعدى أهميتها لتزود المعلمين بصورة شاملة وإجمالية لمستوى تعلم التلميذ وقدرته على حل المشكلات وإنتاج المعرفة من خلال مصادر متنوعة تتعلق بانجاز نشاطات صفية يقوم بها في بيئة حقيقية وأصلية، غير أن استخدامها يقتضي إعدادا مسبق لها من طرف المعلم، الأمر الذي ينسب له دورا جديدا، فعليه أن يخطط للحقبة ويصممها ويقود عملية استغلالها بإحكام.

إجرائيا هي عبارة عن حقبة تحتوي على بدائل تعليمية متنوعة من وسائل، كتب، نشاطات، أشرطة تسجيل، أقراص مضغوطة وصور pictogrammes تهيئ للتلميذ مواقف مختلفة من الخبرة المرئية والحسية، وتمثل أيضا "وعاء معرفي يحتوي على عدة مصادر للتعليم صممت على شكل برنامج متكامل متعدد الوسائط يستخدم في تعلم وتعليم وحدة معرفية، تتناسب وقدرات المتعلم وتناسب بيئته ويؤدي تعليمها إلى زيادة معارف وخبرات ومهارات تؤهله لمقابلة مواقف حياتية " (27).

يستوجب تصميم الحقبة البيداغوجية تنظيما محكما من طرف المعلم حيث تتلخص خطوات إعدادها في :

- وضع عنوان لها
- تحديد الأهداف التعليمية المتوقع تحقيقها
- تحديد فئة المتعلمين المستهدفة
- صياغة الفكرة العامة التي تتناول موضوعها موضوعها .
- وضع دليل الحقيبة يوضح الاستخدام الإجرائي لها .
- تحديد النشاطات والبدائل التعليمية التي تحتويها الحقيبة من أفلام، شرائح، تسجيلات صوتية، صور، رسومات، عرائس.... الخ
- تحديد الأسلوب التقييمي لتحصيل المتعلمين .

في الوقت الراهن، يؤكد المختصون في مجال التعليمية وإتباع النظرية الفيجوتسكية، أن الميدان التربوي يشهد انتشارا للمفاهيم المتمحورة حول "المتعلم"، باعتباره "فاعل اجتماعي في عملية تعلمه ومسؤول عن انتهاج واكتساب معارفه وبنائها والتي يتحصل عليها من خلال التفاعلات التي ينشئها مع الآخرون :الأولياء،المدرسون والتلاميذ " (28).

وفي إطار تعليم مهارة القراءة أثبتت الدراسات ان العائلات التي لا تهتم بالمطالعة وممارسة نشاط القراءة أمام أبنائهم في سن مبكرة يتسرب هؤلاء بنسب اكبر وفي جيل اصغر من المدرسة من أقرانهم الذين يتعرضون للكتاب والكلمة المكتوبة في سن مبكر (29).

كما تبين كل من Feitelson & kate أن أهم العوامل المؤدية للفشل الدراسي بين التلاميذ هو الصعوبة في فهم المقروء أو عدم فهمه تماما بسبب التباين بين ثروة الطفل اللغوية المتداولة في الحياة اليومية وبين ما يضطر تعلمه في المدرسة خلال المراحل الأولى المبكرة (30)، فتعريض الأطفال للكتاب في السنوات العمرية الأولى والإكثار من قراءة الكتب والقصص بمرافقة

الصورة والكلمة المكتوبة تسهم بشكل بارز في إثراء القاموس اللغوي فيسهل عملية اكتساب اللغة وبالتالي تتخفف احتمالات الفشل الدراسي وتزيد فرص تحقيق النجاح في المراحل الدراسية .

وفي دراسة أجريت على تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي حول دور القصة في تسهيل تعلم القراءة باللغة الفرنسية لغة أجنبية بمقاطعة عنابة سنة 2011، اقترحت الباحثة تصورا تجريبيا يحتوى على مجموعة من القصص والصور المرتبطة بها pictogrammes وبعض النشاطات اللغوية تم تطبيقه لمدة ثلاثي. خلصت الباحثة في نهاية الدراسة إلى عدة نتائج من بينها وجود تباينات بين درجات تحصيل المتعلمين في مادة القراءة باللغة الفرنسية تعزى إلى استثمار وسيلة القصة داخل قسم اللغة الفرنسية وذلك بعد إخضاع مجموعة من التلاميذ إلى التصور التجريبي وبينت أن استثمارها ساهم في تهيئة وإقبال التلاميذ على تعلم مهارات اللغة الفرنسية خاصة منها القراءة .

استنادا إلى ما تقدم وأمام صعوبات القراءة التي يواجهها التلميذ الجزائري تبلورت لدينا فكرة إجراء دراسة تجريبية نقتراح فيها تبني أسلوبا جديدا في تعليم مهارات اللغة الفرنسية في الأقسام الابتدائية يدور حول توظيف الحقيبة البيداغوجية الحاملة لموضوع الحكاية للمتعلم في تعليم مهارة القراءة باللغة الفرنسية في الطور الابتدائي لمعرفة أثرها في تحصيل التلاميذ في ذات اللغة لأننا ندرك تماما أن التعليم الفعال للغة الأجنبية عموما واللغة الفرنسية على الخصوص يجب أن يتحقق في سياقات ذات معنى لإعطاء دلالة للغة وإبعادها عن المواقف المجردة المعزولة عن الحياة الحقيقية، ويعد التعليم من خلال الحكاية تشويق للتلاميذ حيث يشد انتباههم ويؤثر في عواطفهم ويربطهم وجدانيا بالموقف التعليمي، اللغة في نص الحكاية لغة حية وحقيقية وليست مجردة كما هي عليه في الكتب المدرسية التي مازالت تتناول اللغة

باعتبارها لائحة من الكلمات والجمل المصنوفة وتساعد المتعلم على تجاوز مشكلاته المرتبطة باستعمال اللغة الأجنبية في أغراض معينة كالقراءة والكتابة (31).

الخاتمة

تتولى التربية في العصر الحديث عدة مؤسسات اجتماعية، يعد كل منها وسطا بيداغوجيا يسهم بطريقة مباشرة في تربية النشء ويسعى إلى تحقيق أهداف حسب فلسفة المجتمع الذي تنسب إليها، فلن تستطيع أي مؤسسة بلوغ غايتها مهما توافرت لها الإمكانيات، ما لم تهتم بالعنصر البشري وترتقي بمستوى أداءه والعمل على تشجيعه وتحفيزه ماديا ومعنويا يتحقق ذلك بخلق جو من العلاقات الإنسانية الفعالة التي تساعد على تحقيق الأهداف بكفاءة وفعالية.

وتبعا للتدني الملحوظ على مستوى التحكم في المهارات اللغوية الأربع من قراءة، كتابة، تحدث واستماع لدى المتعلمين على اختلاف أطوارهم الدراسية في مجال تعليم اللغة الفرنسية في الجزائر، سنتحو تعليمية مهارات اللغة الفرنسية من خلال إدراج وسيلة الحقيبة البيداغوجية في الأوساط التربوية منحى حديث يواكب متطلبات الألفية الثالثة ويشبع حاجات المتعلم ويناسب انتظاراته. فينمي لديه أنماط تفكير جديدة، على اعتبارها وسيلة بيداغوجية تهدف إلى إثارة فضوله في تعلم اللغة الفرنسية كلغة أجنبية وتنمية ما لديه من ميول واتجاهات نحو مهاراتها اللغوية كبعد وقائي وفعال في تجاوز صعوبات التعلم المرتبطة بتداول اللغة. فعلى المشرع الجزائري وضع برامج تربوية قابلة للتطبيق وفقا لكفاءات المهنية للمؤطرين البيداغوجيين داخل فضاءات دراسية مفعمة بالحياة ومخصصة لممارسة الحياة يبني المتعلم في

مناخها مشاعر وأحاسيس ايجابية نحو ميكانزمات عمليات التعلم القاعدية التي ترمي لجعل من المقررات الدراسية مجالات ثرية تشمل على كل الخبرات والمواقف يعتمد عليها التلميذ كمهارات حياتية .

قائمة المراجع :

(01) Sanaa Hoteit، Hétérogénéité sociologique et enseignement /apprentissage du français au Liban، Les cahiers de l'acedle،Vol06،Université de Lille، Décembre، 2009،p 166.

(02) وزارة التربية الوطنية، إصلاح المنظومة التربوية: النصوص التنظيمية: الجزء 1، المديرية الفرعية للتوثيق مكتب النشر، ط2، الجزائر، ديسمبر، 2009.

(03) وزارة التربية الوطنية، القانون التوجيهي للتربية الوطنية، عدد خاص، الجزائر، فيفري، 2008.

(04) لخضر عواريب وآخرون، الواقع التدريسي للغة الانجليزية في المرحلة الإعدادية من خلال مبادئ الطريقة الاتصالية لتعليم اللغات الأجنبية، مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد 04، جامعة ورقلة، جوان 2010، ص 93.

(05) نفس المرجع السابق، ص94.

(06) خالد بن عبد العزيز الدامغ، السن الأنسب للبدء بتدريس اللغات الأجنبية في التعليم الحكومي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الأول والثاني، 2011، ص 772.

(07) الباسل اعتدال، القدرة الروائية لدى أطفال الروضة الإلزامية، مجلة الرسالة، العدد 14، المعهد الأكاديمي لإعداد المعلمين العرب، إسرائيل، 2008.

(08) حزما نايف، اللغات الاجنبية : تعليمها وتعلمها، مجلة عالم المعرفة، العدد 114، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، 1988.

(09) الجريدة الرسمية، العدد 2008، 04، ص 9.

(10) - <http://facail.site.forum.com>

(11) أميرة هامل، القصة كوسيلة لتسهيل تعلم اللغة الفرنسية لغة أجنبية لدى تلاميذ السنة الرابعة ابتدائي: نشاط القراءة كنموذج، دراسة غير منشورة، جامعة باجي مختار عنابة، 2010-2011، ص6.

(12) روعة شامي . Pour qui et comment travailler l'expression orale ، المجلة التربوية، العدد 35، تشرين 2005، ص 24.

(13) Cheo.on.ca/fr

(14) Laurence Vauve D'ouvret et Anne Turz، les Troubles d'apprentissage chez l'enfant، ADSP، France، N= 26، Mars 1999، p 23.

- (15) عبد الرحمن الكندي عبد الله ومحمد عاطف وآخرون، علم النفس اللغوي، ذات السلاسل، ط 1، الكويت، 2006.
- (16) عاشر راتب قاسم، محمد فخري مقدادي، المهارات القرائية والكتابية : طرائق تدريسها واستراتيجياتها، دار المسيرة، ط1، الأردن، 2005.
- (17) français.creteil.fr/Les contes d'origine étrangère vecteur d'apprentissage.
- (18) نمر سمير، التربية اللغوية وتعليم القراءة للمبتدئين، مجلة الرسالة، العدد العاشر، المعهد الأكاديمي لإعداد المعلمين العرب، إسرائيل، 2001.
- (19) لعتوي سليمة، الفهم القرائي : استراتيجيات وصعوبات تعلمه، مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد 11، جامعة ورقلة، ديسمبر 2013.
- (20) عبد الغاني زمالي، صعوبة تبليغ محتوى نشاط القراءة للسنة الثالثة الابتدائية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة بسكرة، 2009-2010، ص 33.
- (21) الدليل المنهجي لإعداد المناهج، الجزائر، 2008، ص 15.
- (22) وليد احمد جابر، طرق التدريس: تخطيطها وتطبيقاتها التربوية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، الأردن، 2003، ص 361.
- (23) عصام إدريس كمتور الحسن ونجود إبراهيم الطيب، واقع استخدام الوسائل التعليمية وأهميتها في تدريس مقرر العلم في حياتنا للصف السابع أساسي في السودان من وجهة نظر المعلمين، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد الرابع والعشرون، تموز، 2011، ص 155.
- (24) نفس المرجع السابق، ص-ص 156-159.
- (25) محي الدين توك وآخرون، أسس علم النفس التربوي، دار الفكر للنشر والطباعة، ط4، الأردن، 2007، ص 329.
- (26) محمد الدريج وآخرون، معجم مصطلحات المناهج وطرق التدريس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الرباط، 2011، ص 202.
- (27) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة .
- (28) Oscar Valenzuela، La didactique des langues étrangères et les processus d'enseignement/apprentissages، Synergies، Chili، N= 06، 2010، p 77.
- (29) نادرة بونس، تأثير القراءة المبكرة على اكتساب الأطفال للغة الفصحى، مجلة الرسالة، العدد 07، المعهد الأكاديمي لإعداد المعلمين العرب - إسرائيل، سنة 1998، ص 160.
- (30) Maria Victoria Bailleuil- Le pouvoir des contes : une application pédagogique auprès des enfants migrants، Revue de psychologie et éducation، impression Dumas، Paris، Décembre 1999 .
- (31) عبد الرزاق بن السبع، بناء الشخصية في قصص الأطفال المغربي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 12، جامعة باتنة، جوان 2005.